

الصدى الذي أخطأ

شعر

منذر مصري

MONZER MASRI

أثر

THE ECHO THAT MADE A MISTAKE

إلى: **My-Idea Echo**

الطريق الذي انتهى بنقطة

لا أدري على أي نحو سينتظم إصدار مجموعاتي الشعرية، بل لا أدري إن كان سينتظم يوماً. ذلك الانقطاع عن النشر من عام/ 1979/ تاريخ صدور مجموعتي الثانية (بشر وتواريخ وأمكنة)، فباكورتي (آمال شاقة) لم تصدر كمجموعة مستقلة أبداً، إلى عام/ 1997/ تاريخ صدور (مزهرية على هيئة قبضة يد) دار رياض الريس/ بيروت، أي ثمانية عشر عاماً بالتمام والكمال، تخللها، ربما ما زاد من تأثيرها السلبي، صدور مجموعتنا الشعرية المشتركة (أنذرتك بحمامة بيضاء) عن وزارة الثقافة السورية/ 1984/، مع صديقي الراحل محمد سيدة، وأختي مرام مصري، العمل الذي كان من الصعب أن يعتبره أحدنا عملاً خاصاً به، فظهرت بعد ذلك بعشرين عاماً، مجموعة محمد (لو كنت وردة حمراء حقاً) الجامعة لكل قصائده، بما فيها القصائد المشاركة في (أنذرتك ...)، كما أن مرام أضافت بعض القصائد على مشاركتها وأصدرتها مؤخراً ضمن مجموعة شعرية باللغتين العربية والفرنسية حملت ذات

العنوان: (أنذرتك بحمامة بيضاء) نتيجة إصرار الناشر الفرنسي عليه، وكذلك فعلت أنا في مجموعتي الشعرية (الحب يرى الكره أعمى) التي أخطأ مصمم غلاف الجزء الأول من أعمالي الشعرية (المجموعات الأربع الأولى) وجعل عنوانها (كُن رقيقي). إلاّ أن صدور ومصادرة (داكن) وزارة الثقافة السورية/ 1989/، شكّل الإساءة الأشد، والأقرب للكارثة، التي أحاقت ببرنامج نشري لمجموعاتي، الهش أصلاً، بسبب افتقادي الطبيعي للقدرة على تنظيم أي شيء، وبسبب المزاج العكر الذي يسيطر علي كلياً عند التفكير بأمر كهذا، وربما أيضاً بسبب التضييق المتتابع الذي كان تتصف به الحياة بعمومها في بلدي سوريا كل تلك السنين، أقول، هذا الانقطاع سيتابع عمله التخريبي في تجربتي حتى النهاية. لأن ما صدر لي بعد تلك الفترة لن يكون أبداً في السياق الطبيعي لتواتر تجربتي واستمرارها. ومرة أخرى سأردد هنا ما شعرت به عند صدور (المجموعات الأربع الأولى: آمال شاقة – بشر وتواريخ وأمكنة – الحب يرى الكره أعمى – دعوة خاصة للجميع) دار أميسا/دمشق/2006/، هو أنه أشبه بشيء يحدث للموتى. وذلك لأن ثلاثاً منها لم تكن قد صدرت سابقاً!. أما مختاراتي الشعرية (.. لأني لست شخصاً آخر) التي صدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة في مصر أوّل عام/ 2010/. فإن قارئها سيأخذ على محمل الجد، أنها مختارات من مجموعات شعرية صدرت منذ زمن، وذات عناوين محددة

مذكورة في الكتاب واحدة تلو الأخرى، حسب تسلسل تواريخ صدورها. إلاّ أن هذا، للأسف، ليس صحيحاً، فأغلبها، كما يعرف البعض من متابعي شعري، مخطوطات لمجموعات وعناوين وهمية لم تصدر لليوم، وربما إذا لم يحالفني الحظ، لن تصدر أبداً.

المهم هنا، الإشكال لذي يتعلق بمجموعتي التي بين أيديكم الآن (الصدى الذي أخطأ). الذي ولّد، برأيي، الحاجة الماسة لكتابة هذه المقدمة، وتحميل القارئ مشقة قراءة كل ما سبق وذكرت. وهو بحد ذاته أمر تقتضي النزاهة ذكره، كون ثلاث عشرة قصيدة منها قد تضمنتها سابقاً مجموعة (مزهرية على هيئة قبضة يد) دار رياض الريس/ بيروت/ 1997. وذلك بسبب أن المشرفين في الدار، عندما اتّصلوا بي لنقل رغبتهم بإصدار إحدى مجموعاتي الشعرية، بعد ذلك الانقطاع الذي ذكرت. كان همّهم أن يصدروا مجموعة تظهر ما أمكن كلّ المفاصل الهامة لتجربتي. فقاموا، و(بعد جهد جهيد)، حسب تعبيرهم، بتوليف مجموعة شعرية من عدّة مجموعات أرسلتها لهم، تفتقد للوحدة الموضوعية أو الأسلوبية أو حتى الذهنية بالنسبة لي. إضافة لحرصهم على تضمينها قصيدة (ساقا الشهوة) التي نشرت بمجلة (الناقد) التي كانت تصدرها دار الريس، ومزّقت الرقابة صفحتيها في عدة دول عربية. الأمر الذي اضطرّني إلى تسميتها (مزهرية على هيئة قبضة يد) كعنوان يعبر بطريقة ما عن كونها أقرب للمختارات.

الآن هاهي مجموعتي (الصدى الذي أخطأ)
متضمنة بعضاً من أكثر القصائد التي عرفت بها مثل (رأسان على وسادة ضيقة)، التي ما فتئ خالد خليفة يعترف بفضلها وهجره الشعر وتحوله النهائي والمبارك إلى روائي. هذا العرفان بالجميل الذي ظل محتفظاً لي به، كما أحتفظ أنا له بالمقابل بمخطوطته الشعرية الأولى والأخيرة، إلى أن أنشأ دار نشر (أميسا)، وأصدر منها/ 4/ كتب فقط، رواياته الثلاث، وكتاباً وحيداً ليس من تأليفه، هو (المجموعات الأربع الأولى). وكذلك (إن كان محتّماً عليَّ أن أعبُدَ إلهاً) القصيدة التي أجد نفسي مطالباً بقراءتها أينما ذهبت، والتي اختير مقطعان منها ليطبعا على بطاقات تذكارية، ضمن سلسلة (قصائد لأجل عالم واحد) التي تصدر في لندن. أما (الناس)، قصيدتي المفضّلة لدى سعدي يوسف، فهي تتضمّن كل مزايا شعري وعيوبه، الأسلوبية والفكرية في آن، كما لا يمكن لقصيدة أخرى أن تفعل. ونقيض هذا كله، تأتي واحدة من أغرب قصائد المجموعة (جميلة لدرجة تدفعُ النساء إلى الارتماء على أوّل رجل يقابلنه) فلا شيء فيها له علاقة بما كنت أعلن أنه يجب على الشعر أن يكونه. وإذا كان صحيحاً بأني واحد من أولئك الذين حين يعملون لا يقيدون أنفسهم، بأي شيء كانوا يدعونه سابقاً في الشعر أو غيره، فهي حتى لا تتصف بما يجعلها تبدو كإحدى الطفرات التي تظهر من حين إلى الآخر على وجه شعري. وكأنها ليست من كتابتي، كما الكثيرون من أصدقائي قالوا لي. أذكر

منهم الشاعرة هالا محمد: "كم أتمنى يا منذر أن لا يقف عندها محبو شعرك". إلاّ أن القصيدة بذات الوقت راقت كثيراً لأصدقاء من نوع آخر، منهم الشاعر حسين عجيب، الذي في حال صفاء الحال بيننا، يحلو له أن أسمعه يردد عنوانها وكأنه قول مأثور، وأظن سبب هذا الإعجاب اللافت، هو ولع حسين بالمفارقات ذات الطابع النفساني على الأرجح. ولكن، في سياق حديث هاتفي جرى بيني وبين هالا مؤخراً، ذكرت لها انطباعها ذاك بخصوص القصيدة، فإذ بها تجيبني: "لا أذكر، ولكن ربما يكون رأيي الآن مختلفاً". أمّا المرأة الجميلة التي كانت تدفع النساء للارتماء على أول رجل يقابلنه، وتدفع الرجال، كما دفعتني يائساً، لكتابة القصائد، فقد أصيبت بمرض مجهول غامض، شلَّ أطرافها وجعلها قعيدة البيت، تتنقل بواسطة كرسي ذي عجلات.

أذكر المكان والزمان الذي كتبت به (كلما رأيتِ غُراباً طائراً تذكَّريني). وأذكر الغراب ذاك، وكأنه شخص ما، حدث وتقابلنا في ظرف ما، لا بل ما زلت أستطيع أن أراه وهو يحطّ على مرمى حجر مني، على رأس سارية هوائي، فيلتفت شمالاً ويميناً وينظر إلي، وما أن التقت نظراتنا، حتى فرد جناحية وهبّ طائراً، مطلقاً صيحته البرية تلك. وكأن رؤيته ثم متابعته بنظري وهو يحلق ويغيب في الأفق، كل ما كنت أحتاج إليه وقتها. القصيدة على طولها، وبكل ما حشوتها به، من صور وذكريات وهلوسات، لا أكثر من رغبتي أن أكون ذلك الغراب، لا أكثر من تصديقي أنه أنا،

ولو للحظة. الغراب ذاته الذي كان مصرّاً على ملاحقة القطار العابر من باريس إلى كان، وكأن فيه من لا يطيق عنه انفكاكاً. وصديقي المخرج أسامة محمد يصوب إليه نظراته من خلال زجاج نافذته، مستعيداً عنوان القصيدة وذكرياتنا معاً طوال الوقت. إلاّ أن قصائد (أجابني الصدى اسماً آخر) هي التي تجعل مترجمة مختاراتي (أهل الساحل- Les Gens De La Cote) دار(Alidades)/باريس/ 2004/، السيدة كلود كرال، القارئة الشاملة والمدققة لتجربتي بحكم عملها، تؤكّد أن (الصدى الذي أخطأ) أهم مجموعاتي الشعرية قاطبة. وما أرجوه هو أن لا يوافقها أحد على رأيها هذا. ذلك لأن المجموعة بالنسبة لي لا يمكن أن أعتبرها أكثر من نهاية ذلك الطريق الذي: (بدأ واسعاً في أولِه/ ثم ضاقَ شيئاً فشيئاً/ وهو يمضي قدماً إلى حافةِ الأفق/ حتّى انتهى بنقطة). بعد هذه النقطة، لم يكن أمامي من خيار سوى أن أبحث عن خط بداية أخرى، عن طريق مفتوح آخر، عن حافة أفق آخر. عن نقطة نهاية أخرى، مستعيداً درساً غامضاً تعلمته على يد أحد معلمي الغامضين: (ما بناهُ عالياً في السنين الأخيرة/ ألقى بنفسه منه/ كما فعل تماماً/ بما بناه عالياً/ في السنين الماضية/ رجل ضلَّ الطريق مراراً/ فوصل إلى قلبي.)

حيث مرة أخرى، يؤكّد الشعر كونه مصيراً، وكونه قدراً..

—

رأسانِ على وسادةٍ ضَيِّقة

(إلى مصطفى عنتابلي)

على وجهِكَ علاماتُ براءتي

أنتَ صديقي
عندما أُنادي كلَّ الأصدقاء
ولا أحدَ يأتي
عندما أذهبُ إلى كلِّ الأصدقاء
ولا أجِدُ أحداً
تكونُ أنتَ في طريقِكَ إلي
أو بانتظاري
أمامَ بابِ البيت .
/

أنتَ صديقي
عندما لا يؤمنُ بي أحد
عندما لا يُصدِّقُني أحد
عندما أصيحُ بأعلى صوتي
ولا أحدَ يسمَعُني
عندما أهرِفُ بما لا أعرِف
ويطلُبونَ منّي
أن أُعيدَ ما قلتُهُ على مَهل
عندما أكذِبُ
ولَدى الجميعِ
مَعروضةً على الملأِ
كُلُّ الأدلَّةِ على كَذِبي
وعندما صِدفةً أصدُقُ
ولَديهِم وحدَهُم
يُخبِّئونَها وراءَ ظُهورِهم
كلُّ الأدلةِ على صِدقي
عندما يطلبونَ منّي
أن أجترِحَ مُعجزة
فأرمي عَصايَ ويرمونَ
عِصيَّهم
وتبتلِعُ ثعابينُهم عَصاي
تجمعُ أنتَ المَصاغَ والحُليَّ
وتصنعُ لي تِمثالاً أجوفَ

من صفائحِ الذهب
وتعبُدُني .
/
أنتَ أخي
عندما أتباهى أمامَكَ
(في ثلاثةِ أيامٍ بدَّدتُ راتبي)
أو عندما أتباهى أمامَكَ
(منذُ ثلاثةِ أيامٍ أحيا
وليسَ في جيبي ليرةٌ سوريةٌ واحدة)
في كِلتا الحالتين
واجبُكَ أن تُعطي
وواجبي أن آخُذَ
وعندما أستعيرُ شيئاً ولا أعيدُهُ
أو أشتري بالدينِ ما لا حاجةَ لي بهِ
كعادتي
لأنَّهُ إذا أعجبَني شيءٌ
أشتريهِ ولا أبالي
ما إذا كانَ معي ثَمنُهُ
أو ليسَ معي ثَمنُه
وبعدَ أن يُمهِلوني فَترةً
تطولُ وتقصُرُ
حَسبَ درجةِ معرفتِهم بي
وحَسبَ كِبرِ المبلغِ أو صِغرِه

لا يجِدونَ مَهرباً
من أن يهرَعوا إليكَ
ويطالبوكَ بتسديدِ دُيوني
وعندما أصرخُ أمامَكَ :
(لا يُهِمُّني سوى مصلحتي
وأنَّهُ بعدَ اليومِ
سأجعلُهُ صحيحاً
ما يتكلَّمونهُ عن أنانيتي)
تضعُ يدَكَ على جبيني
وتجُسُّ حرارتي
ما عادَ أحدٌ يحتمِلُ مطالبي
وأنتَ تَجُرُّني على ثقلي
وتُمدِّدُني على الكنبة
ثم تنزعُ بيدَيكَ فردَتي حذائي
ما عادَ أحدٌ يطيقُ ذِكري
وأنت تبحثُ عنّي
وتغتبِطُ بطولِ مُكوثي .
/
كُلُّ ما أقولُهُ تُعطيهِ كِلتا أُذنيكِ
تفهمُهُ كما يجبُ
ثم تُردِّدُهُ ورائي مرَّتين
تحفظُهُ حرفاً حرفاً
وتُذكِّرُني بهِ غداً

كُلُّ ما أفعلُهُ تُعطيهِ كِلتا يدَيكَ
تُنهيهِ كما يجب
ثم ترفَعُهُ وتضَعُهُ مكانَهُ
وتوقِّعُ بإمضائي على قاعدتِهِ .
/
أذهبُ
ولا أدري ما هوَ الوقت
ربما قبلَ مُنتصفِ الليل
بقليل
ربما بعدَ منتصفِ الليل
بكثير
وأقرعُ بشدَّةٍ بابَكَ
ودونَ أن تصيحَ :
(مَن ؟)
فأنتَ تعلَمُ أنه
لا يمكنُ أن يكونَ هناكَ
مَن يقرعُ بابَ بيتِكَ
في وقتٍ كهذا
أحدٌ غيري
تفتحُ لي وتُدخِلُني .
/
أسألُكَ إن كُنتَ نائماً
تسألُني إن كُنتُ قد تعشّيت

ورُغمَ أنّي لا أجيبُ
تقومُ أنتَ
تغلي شاياً وتقلي بيضاً
وتضعُ صينيةَ الطعامِ
أمامي على الطاولة
وتقرِّبُها منّي حتى تُلصِقَها بركبتي
ثم تأكلُ
لُقمةً لُقمتينِ معي
كي لا آكُلَ
وحدي .

/

إن نسيتُ
أنتَ ذِكرياتي
إن أخطأتُ
أنتَ صَوابي
وإن أثِمتُ
أنتَ ندمي
وأنتَ توبتي
وإن سرقتُ مالاً
أو قتلتُ رجُلاً
فعلى وجهِكَ
علاماتُ براءتي ..

—

تفَوَّقتَ عليَّ في كلِّ شيءٍ دونَ أن تقومَ به

كُلُّ ما تستنِدُ إليهِ بمِرفقِكَ
يتداعى ويقعُ
كتبتَ أنتَ ذلكَ مرَّةً
وها أنذا أقولُهُ
وكأنَّهُ من اختِراعي .
/

ثم إن كُنتَ تذكرُ
قصيدتَكَ تلكَ عنِ الفتاةِ
التي سجنَتكَ
لمجردِ تركِها البابَ مفتوحاً
يا الله ... كم تمنيتُ ذلكَ لنفسي
القصيدةَ
والفتاةَ
والبابَ معاً
لكنَّكَ مزَّقتَ القصيدة
وتركتَ الفتاةَ لوحدِها
وأغلقتَ البابَ
وخرَجت .
/
أربعُ قصائدَ أو خمسٌ
كانت كافيةً
لتكشِفَ لكَ كم في الشِعرِ
من ادعاءٍ
وكم في الكلماتِ من حذلقة
وقبلةٌ واحدةٌ
كانت كافيةً ذاتَ فتاةٍ
لأن تزهَدَ
في كلِّ ما يطمَعُ بهِ الآخرون
من حُبٍّ

ومن شَهوة .

/

وبينما عُرِفتُ أنا
كما أفسحتَ لي لأبدو
شاعراً
إلى هذهِ الدرجةِ من السوءِ
وعاشقاً
إلى هذا الحدِّ من النذالةِ
بقيتَ أنتَ
نبيّاً ألقى نُبوءتَهُ
على رؤوسِ قِلَّةٍ من الأشهاد
وصعدَ الجبلَ
دونَ أن يلتفِتَ إلى أحد
أو مَلِكاً تنَحّى عن العرشِ
لواحدٍ من عامةِ الشعب
أو بطلاً مشهوراً باحتقارِهِ
للشِهرة
مُتفوِّقاً عليَّ في كلِّ شيء
دونَ أن تقومَ به
عائداً من حيثُ ألهثُ
كي أصِل
دونَ أن تُغادرَ مَطرحَك ..

—

أنتَ الأرقامُ وأنا النِسر

أنتَ ..
عرَفتكَ من وقعِ خُطاك
الذي يُشبِهُ وقعَ خُطى
امرأةٍ مُسرعة
إلاّ أنَّ امرأةً مُسرعةً عبرَت
دونَ أن تنظُرَ إلي
بعدَها بلحظةٍ
فوجئتُ بكَ
تقِفُ أمامي .
/

أتظنُّها مُصادفة
نعم فكلانا يؤمِنُ بالمُصادفات
وكِلانا يؤمنُ أيضا
أنَّها حينَ تقعُ على رؤوسِنا
من مكانٍ عالٍ
وتفُجُّها
فإنَّ ذلكَ يجبُ أن يعني لنا
شيئاً
وهكذا فإنَّ اسمَكَ :
(مُصطفى)
لأن اللهَ اصطفاكَ
إن لم يكُن لأجلي
فلا أدري لِمَ؟
واسمي :
(مُنذر)
لأنَّ اللهَ أرسلَني لأُنذِرَ
...
لا أدري مَن؟ .
/
في الاحتفالاتِ
أنا الأشدُّ ضجراً
وأنتَ الأشدُّ رَغبةً بالخروج
في المآتمِ

أنتَ الأكثرُ حُزناً
وأنا الأكثرُ بكاءً
في السوقِ
أنا مَن يقيسُ ويُبدِّلُ
ويُفاصِلُ بالأسعار
وأنتَ مَن
يشتري .
/
أنا وأنتَ
اسمانِ لنبيٍّ واحد
أنتَ من يؤلِّفُ الكتابَ
ويُحضِّرُ العِدَّةَ للمُعجِزات
وأنا مَن يُكثِرُ الزوجاتِ
ويُدلي بالأحاديث
أو كما يُقالُ بلُغةِ العصرِ
أنا وأنتَ
وجهانِ لعُملةٍ واحدةٍ
أنتَ الأرقامُ
التي تُحدِّدُ القيمةَ
وأنا النِسرُ
الفارِشُ
جَناحيه ..
—

أجابَني الصَدى اسماً آخر

وقَفتُ على حافَّةِ وادٍ وصِحتُ اسماً

بقَيتُ
لأنَّكِ طلَبتِ منّي
ليسَ بصَوتِكِ النحيلِ
فَقَط
بل بنظرَتِكِ المُنخفِضة
أن أبقى .
/
ثلاثُ أصابعَ على فمِكِ
ونافِذةٌ مُترعةٌ بالفراغِ
الذي عُيونِنا
هذا ما كانَ بينَنا .
/
سُرعانَ ما أحَسَّ كلٌّ منّا
ببلاهتِه
فتبادَلنا ابتسامةً مُقتضبة
وعُدنا لتفقُّدِ ما تطالُهُ أيدينا
الأقلامَ الجافَّةَ
التي لا تكتُب

الخَواطرَ التي تضيع

الأحاسيسَ الحائرة

بينَ مزهريةِ الأعشابِ البريَّةِ اليابِسة

التي على هيئةِ

قبضةِ يَد

ومِنفضةِ السَجائرِ البيضاء

التي على هيئةِ

راحةِ كَف .

/

عندما فهمتِ

خِلافَ ما كنتُ أقولُهُ

ووافَقتِ عليهِ

ثم أعدتُهُ عليكِ

وأفهَمتُكِ ما أعنيهِ

على الوَجهِ الصَحيح

ووافَقتِ عليهِ أيضاً

كأن أُخبِرَكِ

وقَفتُ على حافَّةِ وادٍ

وصِحتُ اسماً

فأجابَني الصَدى

اسماً

آخَرَ..

—

الفَراغُ يحتَلُّ مَكانَكِ

أُصغي إليكِ
وأنا لا أسمَعُ ما تَقولين
مُعطياً كِلتا أُذُنَيَّ
إلى أُغنيةٍ في المِذياع
أو صَيحةٍ
دَخَلَت مِنَ النافِذة
أو هَمهَمةٍ
تَصِلُني من خَلفِ ظَهري
فلا يبقى في الهَواءِ

مَكانٌ
لِصَوتِكِ .
/
أسمَعُكِ
وأنا أتلَهَّى بقَرقَعةِ الأقلامِ في دُرجي
أو أقرِنُ ساعَتي
وأُراقِبُ عقرَبَ الثَواني
وهو يُكمِلُ كُلَّ دقيقة
دَورةً كامِلةً من ضَياعي
أسمَعُكِ
وأنا لا أُصغي إلى ما تقولين
أجمَعُ شتاتَ ما تُسعِفُني بهِ الذاكِرة
من نَوادِرَ وأقوال
قافِزاً من فِكرةٍ إلى أُخرى
أُريدُ أن
أُخرِسَكِ .
/
أُدرِكُ تماماً ما تعنينَهُ
وأنتِ تُخطِئينَ في التَعبير
وأنتِ تَقولينَ عَكسَ ما توَدّينَ قولَهُ
وأُصدِّقُكِ
وأنتِ تهذُرينَ بما لا تعرِفينَهُ
سِوى منَ الكُتُبِ والآخرين

حتّى وإن تأكَّدَ لكِ
أنَّهُ بحُضوري
لا فائدةَ منَ الكلام
وصمَتٍّ .
/
أراكِ
وأنا لا أنظُرُ إليكِ
وأنا أمُدُّ رأسي منَ النافِذة
مُستَطلِعاً مَصدَرَ الصَيحَةِ التي سمِعتُها
وأنا أنظُرُ إلى امرأةٍ
تَعكُسُ صورتَها المِرآةُ قُبالَتي
وأنا ألتَفِتُ
على حينِ غِرَّةٍ
إلى الكُرسي الوَحيدِ في غُرفَتي
حيثُ لا مكانٌ سِواهُ
تجلِسينَ عَليهِ
كلَّما جِئتِ لزيارَتي
وكعادتِه
أجِدُ الفراغَ
قد جاءَ
وجلَسَ على الكُرسيِّ
مكانَكِ ..
—

الخاطِرُ الذي بُحتُ لكِ بِهِ

سوفَ تذكُرين
كُلَّما أطفأتُ الأضواء
وأغلَقتُ البابَ بالمِفتاح
أعودُ وأبحَثُ عنِ المِفتاح
في كُلِّ جُيوبي
لأفتَحَ البابَ
وأُضيءَ النورَ
وآخُذَ الشَيءَ الذي كُنتُ
حَريصاً على أن لا أنساهُ
ونسيتُه .
/

سوفَ تذكُرين
أيُّ أحمقٍ أنا
عندما في وسَطِ الدُموع
كُنتُ
دائماً
أعرِضُ ابتسامتي
لذلكَ الخاطِرِ الذي بُحتُ لكِ بهِ :
(إنَّ الرَبَّ جبَلَ الإنسان
من طينةِ الرَمادِ
والدُموع)
(دُموعُ مَن ؟)
سألتِني .
/
تذكَّري
أنَّهُ حتّى في غيابي
سوفَ لن يمنعَني أيُّ شيء
بل سوفَ يساعدُني
كُلُّ شيء
أن أتدبَّرَ
على ذلكَ النحوِ الغامِض
بهجَتي أن أكونَ في
ذاكرتِكِ ..

—

يُرافِقُكَ على طولِ الطريق مطرٌ خفيف

لا مانِعَ لَدَيكَ
أن يُرافِقَكَ على طولِ الطريق
مطرٌ خفيف

تمضي
والرَذاذُ يلمُسُ وجهَكَ
دونَ أن تُفكِّرَ برُكوبِ سيّارة
أو الوقوفِ تحتَ
شُرفة .
/
لا مانِعَ لَديك
من أن تغُذَّ السَير
إلى حيثُ ينبَغي أن تكون
ومطرٌ كهذا يهمي عليكَ
وقد نسيتَ مِظلَّتَكَ
حيثُ كانَ ينبَغي أن
تُغادِر .
/
لا حاجةَ لكَ
بسماءٍ صافيةٍ كلَّ يوم
ولا غايةَ ترجوها
من أن تَمضي على طولِ الطريق
وشمسٌ لاهِبةٌ تُذيبُ
رأسَكَ .
/
مطرٌ خفيفٌ كهذا
لا مَضرَّةَ منهُ

حتّى وإن كُنتَ قد
خُدِعتَ بنَشرةِ الطَقس
ولم ترتدِ مِعطفاً
حتّى وإن كُنتَ قد خسِرتَ
نِصفَ شَعرِكَ
ولا تعتَمِرُ قُبَّعة
فهو عندما يعلَقُ على شارِبَيكَ
وتسيلُ قطرةٌ منهُ
إلى فمِكَ
فيمُدُّ رأسَهُ من بينَ شفتَيكَ
كسِحلية
ويلتقِطُها لِسانُكَ
سُرعانَ ما سوفَ تشعُرُ
وأنتَ مُغَمَّضُ العينَين
أنَّها بلَّلت
قلبَكَ .

/

(الحمدُ للَّه
ما زالَ بي
البقيَّةُ
الباقيةُ ..
منَ القصائد) ..

—

أدارت ظهرَها العاريَ دونَ خوف

(لوحةٌ طبيعيةٌ سيئةُ الطِباعة)

كُلُّ ما ينقصُني
في جُحريَ النائيِ هذا
هو صورةٌ
لإحدى تلكَ المناظرِ الطبيعيةِ
المرسومةِ بالأسلوبِ
الإيطالي الرخيص
التي كُنتُ أهزأُ منها
ومن مُقتنيها دائماً

والتي تُريكَ في أغلبِ اللوحات
التي على شاكِلتِها
شُرفةً واسعةً مُكتظَّةً بالاخضِرار
كأنَّها حديقةٌ مُعلقةٌ
يلُفُّها سورٌ مُنخفِضٌ منَ
الأعمدةِ المرمريةِ القصيرة
فتصطَفُّ
وتتقاطعُ في رِحابِها
أشجارُ القِرطاسيا
برؤوسِها البنفسجيةِ
والحمراءِ القانية
وأزهارُ البيجونيا بأنواعِها الكثيرة
تطُلُّ على دربٍ
يهبِطُ
بانحدارٍ شديدٍ
إلى شاطئِ بُحيرةٍ
زرقاءَ لدرجةٍ يخالُ لكَ بها
أنَّ سُفناً كبيرةً
ألقت بكاملِ حُمولتِها
من براميلِ الحِبرِ
في وسَطِها
إلاّ أنَّه هُنا وهُناك
وعلى صفحتِها النيليةِ الغامقة

مُحتشِدةً
عندَ شاطئِها الأبعد
تنتشِرُ مُثلثاتُ الأشرعةِ البيضاء
تتقابلُ وتتواجهُ
كحوارٍ بصريٍ هادئ
مع أجنحةِ النوارسِ اللامعةِ
التي تُرصِّعُ السماء .

/

وامرأةٌ ترفُلُ بثوبٍ زهريٍ
تتخلَّلُ طيّاتِهِ الكثيرةَ
ظِلالٌ
وأضواءٌ
كأنَّها أمواجُ مُتتابعةٌ
أدارت ظهرَها العاريَ
دونَ خوف
وانحنت على السورِ
بانتظارِكَ
لتنزلَ بصمتٍ بعضَ الدرَجاتِ
وتُحيطَ خصرَها النحيلَ
بساعدِكِ
فلا تكلِّفُ نفسَها
حتّى أن تلتفتَ ..

تاجُ المَسيح

سوفَ تحتاجُ في الأمَدِ القَريب
إلى أصيصٍ أكبَرَ حَجماً
فقد طالَ فَرعاها وانتَشرا
ولا رَيبَ أنَّها بعدَ حينٍ
ستنبِتُ فُروعاً أُخرى
ولكن ..
حتّى السنةِ القادِمة
هذا الأصيصُ الصغيرُ
سيبقى مُلائماً .
/
في الصيفِ سوفَ تحتاجُ
لقليلٍ منَ العِنايةِ
لا أكثرَ من إبعادِها
ما أمكنَ
عن أقدامِ الأطفالِ وكُراتِهم
ورَيِّها
حينَ يبقى شيءٌ منَ الماءِ

في دَلوِ السِقاية
أمّا في الشِتاء
فإنَّ بَردَهُ
وبعضَ قطراتِ المطَرِ التي ستُصيبُها
وهي في أقصى الشُرفةِ
سوفَ يُساعِدُ على
إهمالِها .
/
احذَري
إذا رغَبتِ يوماً بتَذكُّري
أن تجرَحي أحدَ أصابعِكِ
وأنتِ تنزعينَ عنها أوراقَها اليابِسة
أو تفُكّينَ تَشابُكَ بعضِ فُروعِها
ذلِكَ أنَّهُ من طَبعِها
كَي تُجاري حُبَّنا
أن تُحيلَ بعضَ أوراقِها
إلى أشواكٍ
قَريباً مِنَ الأزهار .
/
يوماً لم تكُن نَبتَتكِ المُفضَّلة
فقد رَغبتِ دائِماً بالتَخلُّصِ منها
وإعطائها لكُلِّ مَن أبدى
ولو إعجاباً قليلاً بها

وخطَرَ لهُ من بابِ المُجاملة
أن يُتمتِمَ كلمةً أو كلمتينِ
لم
إطراءً لها
إلاّ أنّي أطلبُ منكِ
لأجلي
لأجلِ ما سمِعتِني أُردِّدُهُ مِراراً
دونَ طائل
لأجلِ ما رأيتِني
أنكَبُّ عليهِ سنواتٍ طويلةً
دونَ يأسٍ
ودونَ أمَل
لا بل أرجوكِ
أبقِها حيثُ هيَ
ولا تفعَلي شيئاً أكثرَ من أن
تَمُرّي عليها
من حينٍ إلى آخَر
بنظرتِكِ
نعم
أظُنُّ هذا سيكونُ كافياً
لأنَّها رُبَّما لا تحتاجُ
لأيِّ عِنايةٍ ..

ما أُخِذَ منكَ ليسَ لكَ

ما أُخِذَ منكَ
ليسَ لكَ
حتّى وإن كُنتَ قد ربطتَهُ بجذعِكَ
فأنتَ لم تشُدَّ رِباطَهُ بقوَّةٍ تكفي
لم تُلصِقهُ بكَ
حتّى يصيرَ جلدَكَ .
/
ما أُخِذَ منكَ
لم يكُن مِلكَكَ
حتّى وإن كانَ يوماً بحوزتِكَ
إنَّهُ ما مرَّ مروراً على يدَيكَ
ولم تقدِرَ أن تمسُكَه
لم تقدِرَ أن تجعلَهُ لكَ .
/
ما أُخِذَ منكَ
لم يكن جُزءاً من جِسمِكَ
لأنَّكَ بعدَ أن فقدتَهُ
رُحتَ تتفقَّدُ ما بقيَ منكَ
وأنتَ تقولُ لنفسِكَ :
« عليَّ الآنَ أن أتدبَّرَ أمري

بما بقيَ عندي

فما زالَ لديَّ ما يكفي)

لأنَّكَ بعدَ أن فقدتَهُ

قُلتَ في نفسِكَ :

(عليَّ الآنَ أن أكونَ حريصاً

ألاّ أفقِدَ المزيدَ منهُ

المهمُ الآنَ

ألاّ أفقدَ سِواه)

لأنَّكَ بعدَ أن فقدتَهُ

بقيتَ حيّاً .

/

ما أُخِذَ منكَ

كانَ لمن مدَّ يدَيهِ الاثنتينِ

وأخذَهُ

ولم تستطع منعَهُ

لمن ألصقهُ بِهِ كجِلدِهِ

لمن جعلَهُ جُزءاً من جِسمِه

ولا يستطيعُ أحدٌ أن

يأخذَهُ منهُ

أخذَهُ مَن هوَ لهُ

ولا يستطيعُ أن يبقى حيّاً

بدونِه ..

—

ما لم أكتُبهُ من قصائدي

سوفَ تحُطُّ في هذا المكان
طُيورٌ كثيرةٌ
وسوفَ تنقُرُ فُتاتَ الطعام
هنا .. قريباً من حِذائي
ولن تجِدَني .
/
سوفَ يهُمّون بأن يُنادوا اسمي
حرفاً أو حرفَين
ثم سوفَ لن ينتظِروا
حتّى يسمعوا رَدّي .
/

سوفَ يضَعونَ راحاتِهم على الحِجارة
ويُخيَّلُ إليهم أنَّهُم
يربِتونَ على كَتِفي
أو أنَّها تَلمُسُ جَبيني
مرَّةً أو مرَّتين
ثم سوفَ يشعُرونَ أنَّ ذلكَ
حَماقة .

/

سوفَ يُغمِضونَ عُيونَهُم
ويرغَبونَ بلَثمِ فَمي
ثم سوفَ يفتَحونَها
وينظُرونَ حولَهم
وكأنَّهُم استيقظوا من
حُلُمٍ .

/

حرَصتُ دائماً أن أحمِلَ معي
حيثُما أمضي
أقلَّ ما قد تضطرُّني إليهِ رِحلَتي
فتذكَّروا
أنّي أبقيت لكُم
الكثيرَ ممّا لم أكتُبهُ
من قصائدي ..

—

اللَّهُ والناسُ وجَدَّتي وأنا

قطَفَ التُفّاحةَ وصنَعَ مُربّى

يأكُلُ البَطّيخَ والقَمحَ والبَطاطا
مُزاحِماً الخِرافَ والأبقار
لا بَل يأكُلُ
الخِرافَ والأبقار

مُزاحِماً الذِئابَ والضِباع
الإنسان
انظُرْ إلى المِرآة
...
لَديهِ أنياب .
/
لأنَّهُ يستَطيعُ فِعلَ كُلِّ شَيء
يفعَلُ كُلَّ شَيء
لأنَّهُ فَقَط يستَطيع
يفعَل .
/
ينخُرُ الجِبال
وبالحِجارةِ يرفَعُ الجُدران
ليقطَعَ طَريقَ الرّيح
ويلوي عُنقَ النَّهر
يُحَطِّبُ الشَّجَر
ويوقِدُ النار
ليدفَأَ
ويسهُلَ عَليهِ بَلعُ اللَّحم
فيدُلُّ على وجودِهِ
تَصاعُدُ الدُخان
الماءُ لم يروِ ظمأه
فعصَرَ ضُروعَ الماشية

ومَصَّ روحَ الكَرمة
بساقَيهِ يشُدُّ على ظُهورِ الدَواب
والثيرانُ
من خَياشيمِها يجُرُّ بالسلاسِلِ
لَديهِ عَشرُ أصابعَ
لَيِّنةٌ وقصيرة
فالتقَطَ عَصاً وضرَبَ بِها
وكَي تكونَ ثقيلةً
ربَطَ طَرَفَها بحَجَر
ودبَّبَ رأسَها كشَوكةٍ
كَي تَكونَ
جارِحة .
/
سَرقَ سِرَّ النار
حَلَّ لُغزَ المَطَر
شَقَّ طَريقَهُ بَينَ النُجوم
على يَمينِهِ الميزان
وعلى يَسارِهِ العَذراءُ والعَقرَب
كَشَفَ ألاعيبَ القَمَر
عَرَفَ من أينَ تُشرِقُ
وإلى أينَ تَغرُبُ
الشمس
ولأنَّ الأشرِعَةَ

آخِرُ ما يغيبُ في الأُفُقِ
عرَفَ أنَّ البَحرَ مُحدَّبٌ
والأرضَ كُرةٌ
وأنَّهُ إذا مَضى بذاتِ الاتِّجاهِ
سيعودُ حَتماً إلى
حيثُ بدأ .

/

نادى المَخلوقاتَ بِأسمائها
وأدخَلَها الحَظائر
الجنَّةُ لم يكُن بها راضياً
قطَفَ التُفّاحةَ وصنَعَ مُربّى
الأرضُ وجدَها ناقصة
فراحَ يكُدُّ ويشقى
ليجعَلَ منها
جنَّتَه .

/

بلسانِهِ أعطى لنفسِهِ
وَعداً
وبقلبِهِ
أوفى بوَعدِهِ
وبيدِهِ
أخَذ ..

إن كانَ مُحتَّماً علَيَّ أن أعبُدَ إلَهاً

طلبَت منّي أن أُحضرَ لها بعضاً من ماءِ البحر، لتنقعَ قدميها بناءً على نصيحةٍ ما. فسبحت إلى عَرضِ البحرِ، وملأت عبوةً كبيرةً من الماء الصافي. وعندما دلقته في الطشتِ النحاسي الذي وضعت فيه قدميها المتورمتين، نظرت إلي باستغراب، وقالت: (منذر.. هل تضحك عليّ. هذا ليس ماء بحر، لونه ليس أزرق!).

(إلى فاطِمة مهدية روشَن)

إن كانَ مُحتَّماً عليَّ
أن أختارَ إلَهاً
لأعبُدَ وأخدُمَ
فإلَهُ جَدَّتي
مَن كانَت تُرسِلُهُ معي
أينَما ذهَبت
وتُكَلِّفُهُ بحِراستي أينَما كُنت
وتطلُبُ منهُ أن يُرسِلَ لي
أُناساً أحنَّ منها علَيّ
هوَ إلَهي .

/

كانَ لي أن عبَدتُ النارَ يوماً
وكانَ لي أن عبَدتُ صنَماً
ويوماً عبَدتُ زَعيماً
ويوماً عبَدتُ امرأةً
ويوماً لم أعبُد أحداً
ثم لم أجِد بُدّاً
من أن أحني رأسي
عندما قالتَ جَدَّتي :
(خَيرٌ لكَ أن تكونَ حياتُكَ
بينَ يدَيِّ اللَّه
من أن تكونَ بينَ أيدي
البَشَر) .

/

إلَهُ جَدَّتي هو إلَهي
مَن كانَت تُقدِّمُ لي
رَمّانةً حُلوةً على طَبَق
وتوصيني ألاّ أترُكَ حَبَّةً منها
تقَعُ على البَلاط
لأنَّ اللَّهَ يضَعُ في كُلِّ رُمّانةٍ
حَبَّةً من رُمّانِ الجنَّة .

/

وحينَ جمَعَ خاليَ رُفاتَ جَدّي

في كيسٍ بلاستيكي شَفّاف
بانَ منهُ جُمجُمةٌ صغيرةٌ
أقربُ أن تكونَ لطفل
مع بعضِ العِظامِ السوداءِ الهشَّة
وقام بنقلهِ على دَرّاجتِهِ النارية
منَ المَقبرةِ الشرقية
حيثُ أُقيمَت مَحطَّةُ القِطار
إلى قَبرِهِ الجديد
بظِلِّ سورِ جامعِ المَغربِي
قالت :
(رحَمَهُ اللَّه
مكتوبٌ لهُ
أن يركَبَ الموتور
خَلفَ أحَدِ أولادِه) .
/
مَن يصيحُ بكَ :
(الصَلاةُ خَيرٌ منَ النَوم)
النومُ
وليسَ أيُّ شيءٍ آخر
ثم يدَعُكَ
تحلُمُ .
/
مَن يأمُرُكَ

أن لا تفعَلَ هذا وذاكَ
أمّا إذا اضطررتَ
غيرَ باغٍ
فلا بأس .
/
مَن إذا أخطأتَ
مرَّةً ومرَّتينِ وثَلاث
مَن إذا قضَيتَ حَياتَكَ كُلَّها
تُخطئ
وفي اللحظةِ الأخيرة
حينَ لم يبقَ لَديكَ وَقتٌ
أو أدنى فُرصةٍ
لأيِّ خطأٍ آخر
تُبتَ وطلَبتَ المَغفِرةَ
يقبلُ .
/
مَن أوجَدَ العالَمَ
وهوَ في غِنىً عنه
لكنَّهُ يحمِلُ وِزرَهُ كامِلاً .
/
مَن خلَقَنا وليسَ في نفسِهِ غايةٌ
سِوى أن يُحَب
وكأيِّ عاشِقٍ حقيقي

يغارُ
ويشترِطُ علينا
أن لا نُشرِكَ في حُبِّهِ
أحَداً .
/
مَن جلَسَت جَدَّتي لتقرأَ في كتابِهِ
فراحَت تُتمتمُ بكلماتِ آيةِ (الكرسي)
التي تحفظُها مُنذُ صِغرِها
عن ظَهرِ القلب
وهي تُقلِّبُ مع كُلِّ كلِمةٍ
صفحةً كاملةً من سورةِ (البَقَرة)
لكنهُ سمِعَ
وفهِمَ
وسُرَّ .
/
قُلتُ لها :
(هَل تَعلَمينَ يا جَدَّتي
أنَّ ثُلثَيَّ جَسَدِ الإنسانِ
ماء ؟)
قالت :
لا بَل
ثُلثيهِ دُموع) ..
—

آلَمَهُ ألا يقولَ هذا حَسَنٌ حتّى النِهاية

بعدَ صَمتٍ دامَ ساعَتين
قامَ الضَيفُ عن كُرسيهِ
مُعلِناً رَغبتَهُ بالمُغادرة
عندَ الباب
قالَ المُضيفُ مودِّعاً :
(سَرَّني التَحدُّثُ معَكَ
يا سيِّدي) .
/

هذهِ النادِرةُ عن رَجُلينِ
سياسيَينِ كبيرَينِ في بِدايةِ القِرن
إلا أنَّها خَليقةٌ أيضاً
بالشُعراء
فكِلاهُما منَ الصِنفِ
الثَرثار .
/
عليكَ إذَن أن تُفرِّقَ
بينَ النُكاتِ الصالِحةِ
أن تُروى عن تِشِرشل
ذلكَ الضِفدَعِ ذي السيجار
والنُكاتِ الفَظَّة
التي كانَت تجودُ بِها
قَريحةُ ستالين
وتُضحِكُ للمرَّةِ العاشِرةِ
أعضاءَ مَطبخِهِ السياسي .
/
لن يمنَعَني من أن أروي لكَ
هذهِ المَهزَلة
عن فرانكو على سَرير الموتِ
أن تَكونَ قَد سَمعتِها سابِقاً
فبينَما كانَ حُرّاسُ فرانكو وكِلابُهُ
وبقيَّةُ أفرادِ العائلةِ

يهتِفونَ بحياتِه
استيقظَ الديكتاتورُ من غَيبوبتِهِ
وسألَ زوجتَهُ الجالسةَ على حافَّةِ السَرير
بجانِبِه
عمَّ يحدُثُ في الخارِجِ
ولماذا يصيحُ كُلُّ أولَئِكَ الناس ؟
فأجابَتهُ
ويا لَها من امرأةٍ ذكيّةٍ طيّبة :
(إنَّ الشَعبَ الإسباني
جاءَ ليودِّعَكَ أيُّها الجنِرال)
عندها هَبَّ فرانكو صائحاً :
(وإلى أينَ الشَعبُ الإسباني
مُسافِر!) .
/
وكنتُ أُريدُ أن أُبدِّلَ كلامَهُ
وأجعلَهُ يقولُ : (وكيفَ يسافِرُ الشَعبُ الإسباني دونَ إذني)
لكني لم أُحِب أن أختلقَ أيَّ شَيءٍ
من عِندي .
/
هل سمِعتَ عن سُكانِ مدينةٍ
ينتظِرون
نِهايةَ معرَكةٍ فاصلةٍ
تدور رُحاها

بالقُربِ من حُدودِ مدينتِهم
وقد أعَدّوا الخِطابَ الذي سيُلقيهِ
أفضَلُ خُطَبائهم
ترحيباً بالقائدِ المُنتَصِر
ولكنهُم تركوا فَراغاً
في كُلِّ مرَّةٍ
يُذكَرُ فيها اسمُ هذا القائد
وذلكَ إلى حينِ يعرِفونَ نتيجةَ المعركة
وقد نَسيتُ اسمَ المَدينة
وكَذلِكَ اسمَي الأميرَينِ المُتحارِبَين
لكنَّ اسمَ الشاعر
هو كَفافي
كتَبَ قصائدَ قليلةً
وهو يُبدِّدُ حَياتِهُ
في مَقاهِ وأزِقَّةِ الإسكندرية
لكنها على قِلَّتِها
كانت كافيةً لخلودٍ أبَدي
ولجعلِ مُجرَّدِ لَفظِ اسمِ
الإسكندريَّة
شِعراً .
/
لَطالما سمِعتُ جَدَّتي تقول :
(غضَبُ الرَبِّ في السماء

أرحَمُ من لُطفِ الحُكّامِ
عَلى الأرض
لأنَّ غَضَبَ الرَبِّ عَدلٌ
ولُطفَ الحُكّامِ
سياسة) .
/
افهَمْ هذا على النَحوِ الذي يُرضيكَ
فالرَبُّ أيضاً
صاحِبُ نَوادِر
غيرَ أنَّهُ مَضى ذلكَ الزمَنُ
الذي كُنتَ تراهُ فيهِ
صاعِداً وهابِطاً
منَ الأرضِ
إلى السماء
ومنَ السماءِ
إلى الأرض
حامِلاً على ظَهرِهِ وتحتَ إبطَيهِ
ما لا نِهايةَ لهُ
ممّا يطلُبُهُ منهُ الناسُ
ويُكلِّفوهُ بنقلِهِ
كُلَّ يومٍ أكثرَ من ثَلاثِ مرّات
ومُنذُ فَترةٍ غيرِ وجيزة
تعلَمونَ أنَّهُ آثَرَ الاعتزالَ

وهِجرةَ الملاعِب
فقد آلَمَهُ
أن لا يستَطيعَ مُتابعةَ قولِهِ :
(هذا حَسَنٌ هذا حَسَنٌ)
حتّى النِهاية
بسببِ أولَئكَ
الذينَ على غَفلةٍ منهُ
أحكَموا قَبَضاتِهم
على أعناقِ عِبادِهِ
منَ البشَر
والبهائِم
ودونَ مُساندةٍ من أحَد
حتّى مِنَ الشَيطانِ
استطاعوا أن يتغلَّبوا عليهِ
في كُلِّ مَرَّةٍ
جمَعَ فيها ملائكتَهُ وأنبياءَهُ وقِدّيسيهِ
وبَقايا جَبروتِهِ
وحاولَ التَخلُّصَ منهم
مانِعينَ إيّاهُ
منَ الإيفاءِ
بأيِّ وَعدٍ
من جميعِ وُعودِهِ ..

—

دُموعُ الحديد

(دخلتُ السجنَ وخرجتُ بعدَ أربعةِ أيام، ماذا أفعلُ
إذا لم أكُن أكثرَ من شاعر)

لم يكن عُرضُ الزِنزانةِ
يزيدُ عن ذِراعٍ
وطولُها عن ساقٍ
أوُّلُ ما أصابَ خاطري
أنّها تصلُحُ لطِفل .
/
ورُغمَ أنَّ خَفّانَ جُدرانِها
قد كَسَوهُ
ذاتَ يوم
بالإسمنتِ
إلاّ أنَّ ثُقوباً وحُفَراً

انتشرت في كلّ مكان
كأفواهٍ حُشِرُت بها كسَراتُ خُبزٍ يابِسة
وعُيونٍ لم يبقَ منها سِوى
المحاجِرِ
وآذانٍ بلا صِوّان .
/
وعلى الأرضِ تكدَّست
كُتلٌ قاسيةٌ داكِنة
(لكنَّها لا تُكنَس) صاحَ أحدُهم
إنّها يا مخبولُ
بقايا طينةِ الحائط
بل إنَّها ..
– المخبولُ يعلم –
بقايا أجسام .
/
كانَ البابُ لوحَ حديدٍ ثخينٍ
بدونِ قُفل
يُربَطُ مِقبضُهُ بكيسٍ منَ النايلون
ملويٍّ ومشدودٍ كحبل
وفي وسطِهِ في الأعلى
كوةٌ صغيرةٌ على شكلِ مستطيلٍ صغير
فُرِّغ بواسطةِ مثقبٍ حراري
فذابَت أطرافُهُ وسالت

دُموعُ الحديد .

/

من عُيونِ البابِ الدامعةِ
أعطَوني رغيفاً مُقدَّداً
كوِّمَ فوقَهُ
أرُزٌّ مسلوقٌ
وقِطعةٌ من العَظمِ
فرأيتُ أنّي بدونِ تفكيرٍ
أجلسُ القُرفصاءَ
أنهشُ الأرُزَّ بفمي
وأعَضُّ على العِظامِ بأنيابي
نعم يا سيدي
فهِمتُ الآنَ ماذا تُريدُ أن تقولَهُ لي
نعم يا سيدي
فهِمتُ الآنَ ماذا تُريدُني أن أفهم
نعم يا سيدي
علِمتُ الآنَ ماذا أنا.

/

شكَلتُ عُنقودَ العِنبِ
بنُتوءٍ على الجِدار
ورُحتُ أنقرُ حبَّةً منهُ
كُلَّما شعَرتُ بمرارةِ فمي
فكانَ كلَّما ازدادَ فمي

مَرارةً
تزدادُ حبّاتُهُ
حلاوةً
وبعدَ يومَينِ صارَ زَبيباً
لكنَّ حبَّتَهُ الأخيرةَ
باتَ لها
لَذعةُ النبيذ .
/
أعطَوني هذهِ المرّةَ
تُفّاحةً
ظهرُها أزرقُ
وبطنُها بُرتقاليٌ كالذهبِ
يطلَعُ من بينِ كَتفيها
عُنُقٌ رفيعٌ
حرَصتُ ألاّ أحمُلَها منهُ
خَشيةَ أن أنزعَهُ
وزَغبٌ على جسدِها كلِّهِ
كفتاةٍ في الثالثةَ عشرةَ
لا يُحَسُّ إلاّ بالشَفتَين .
/
أبقيتُها معي
لم آكلها رُغمَ جوعي وشبَقي
وعندما سندتُ رأسيَ بالحذاءِ

قرَّبتُها من أنفي
أشُمُّ عَبَقَها طوالَ الليل
وعندما خرجتُ
أبقيتُها حيثُ هي
دونَ أن أُتمتِمَ لها شيئاً
دونَ أن ألتفِتَ مُجردَ التفاتة
دونَ أن أُلقيَ مُجردَ نظرة
تركتُها لوحدِها
كامرأةٍ عاريةٍ على السريرِ
تنتظر .

/

أيُّ نَهارٍ وأيُّ ليل
كانَ الوقتُ
دونَ نَبضاتٍ دونَ قلبٍ
يعبُرُ في الظُلمةِ
كسَيلٍ صامتٍ من القَطران
وكانَ قمرُ الزِنزاناتِ لا يغيبُ
إلاّ عندَ انقطاعِ الكهرباء
لكنَّ هناكَ طَرقاتِ الاستِجواب
ومواعيدَ الإطعام
وطقوسَ قضاءَ الحاجاتِ
إلى أن يجيءَ النُومُ خجِلاً
كلِصٍ

فنغمِضُ عيونَنا
لنُسهِّلَ عليهِ سِرقتَنا
في حُلُمٍ .
/
تُفّاحتي
يلُفُّ جسدَها المُكوَّرَ
ذهبٌ وزُرقةٌ
عِطرٌ وزَغبٌ
ومن بينَ كَتِفَيها
يشرأبُّ عُنُقُها الرفيع
ثم ينطوي
كأنَّها تتفقَّدُ أجزاءَها
وفي أسفلِ بطنِها
دَغَلٌ كثيفٌ مُعتمٌ
يبدو وقد غاصَ قليلاً
كأنَّهُ عانةُ امرأة
برأسِ سَبّابتي ثم بلِساني
لَمَستُها
(عُشُّ اللَذَّةِ) قُلتُ في نفسي
فإذا بها تسمَعُني
وتقولُ لي :
(هيّا إذن) ..

الناس

(أمّا هُم فيلعَنون، أمّا أنتَ فَتُبارِك)

مزامير: 109:28

(شُكراً يا إلَهي لأنَّكَ خلقتَني كباقيَ الناس)

منذريوس

(الناسُ يحتاجونَ الناسَ ليحلموا بهم)

منذر

لا تَتكلَّمْ هكذا حماقاتٍ عنِ الناس
ماذا أنتَ لولا الناس
ضَعْ هذا الكَلامَ الذي أقولُهُ لكَ الآن
كحَلقٍ في أُذُنَيك
لا بل كحَشَرةٍ طَنّانةٍ
في أُذُنِكَ الوسطى
أنتَ لا شَيء
لَولا الناس .

/

منذُ آلافِ السِنين
سَنّوا الحِرابَ ونَصَبوا الفِخاخَ
وقَتلوا

ولاذوا بالكهوفِ وأشعلوا النار
ونَصَّبوا القادةَ ورَضَخوا للقوانين
وعبدوا الآلِهةَ وقَدَّموا الذبائح
وارتمى كُلُّ رَجُلٍ منهم
فوقَ امرأةٍ
كُلُّ هذا
من أجلِ أن تأتي .
/
هُم مَن انتَشَلوكَ من بينِ
فَخذَي أُمِّكَ
هُم مَن غَسَلوكَ بماءٍ دافئ
وقَمَّطوكَ
وكانوا يستَطيعون
في ذاتِ اللحظةِ
التي أخرَجتَ بها رأسَكَ
تَغطيسَكَ بالماءِ البارد
وخنقَك .
/
هُم مَن علَّموكَ كيفَ بلِسانِكَ
وسَقفِ حَلقِكَ
وشَفَتيك
يخرُجُ الهَواءُ من فَمِكَ
حُروفاً وكلِمات

هُم مَن لَقَّنوكَ الأسماء
ثم نادَوكَ باسمِكَ
فعرَفتَ وَقتها مَن أنتَ .
/
مَن يغوصونَ في الوَحلِ حتّى رُكَبِهم
ليزرعوا الأرُز
مَن يتجشَّمونَ مَشقَّةَ الصُعودِ
إلى رأسِ الجَبل
ليحقِلوا التُفّاح
مَن يُدمونَ أيديَهُم بقِطافِ القِطن
مَن يجدِلونَ الحِبالَ الغليظة
وبكُلِّ أناةٍ
ينسِجونَ البُسُط
مَن يرحلونَ إلى أقاصيَ الأرض
ليُتاجِروا بالحريرِ والبَهار
مَن يُذيبونَ التُراب
وتجحَظُ عُيونُهم وهُم ينفُخون الزُجاج
لأجلِ مَن ؟
لأجلِ ماذا ؟
لأجلِ أن تشرَبَ
عندما تجُفُّ
وأن تزدرِدَ شيئاً سائغاً
عندما يُوجِعُكَ بطنُكَ

لأجلِ أن ترتدي
الثيابَ الرقيقةَ المُخَرَّمةَ في الصيف
والصوفَ والجِلدَ الكتيمَ في البرد
ولأجلِ أن تخرُجَ من بيتِكَ
وتذهبُ إلى حيثُ تُريد
صنعوا لكَ الحِذاء
وشقّوا لكَ الطريق .
/
الناس
الذينَ مُقابلَ أيِّ شيءٍ
حتّى الوقتُ
الذي لا قيمةَ لهُ عندَكَ
يُعطونَكَ نُقوداً
ومقابلَ بعضِ هذهِ النُقود
يُعطونَكَ أيَّ شيء
حتّى الوَقت
والوَقتُ عندَهم من ذَهب
الناس
الذين يقبَلونَ شِراءَكَ مجّاناً
لكنَّهم إيماناً بكَ
يرفُضون بيعَكَ إلاّ بثَمَن
الناس
الذينَ يعصِرونَ رُؤوسَهم

ويُخبِرونَكَ بما هو أفضّلُ لكَ
وأنتَ حُرّ
الناس
الذين يغفِرونَ لكَ ذُنوبَكَ
دونَ أن يعرِفوها
الناس
الذينَ يستَطيعونَ
وأنتَ تعبُرُ الشارِعَ ساهياً
دَهسَكَ بالسيّارة
لكِنَّهم ينفُخونَ البوقَ
الناس
الذين يستطيعونَ التظاهُرَ
بأنَّهم لا يرَونَكَ
وأنتَ تقِفُ عندَ حافَّةِ السطح
الناس الذين يرونَكَ
فيقفونَ بُرهةً ليتبَين لهم مَن أنتَ
وماذا في رأسِكَ أن تفعلَ
ثم يكمِلونَ طريقَهم
لأنّه رُبّما سيقتضي الأمرُ منكَ
وقتاً طويلاً
تتردَّدُ فيهِ بالقَفزِ
وهم على عجَلةٍ من أمرِهم
لا يستطيعونَ التأخُّرَ عن أعمالِهم

أكثرَ من دقائقَ معدوة
ومنهم مَن ينتظِرونَكَ
مَهما تطلَّب الأمر
لا يُريدونَ أن يُفَوِّتوا عليكَ
فُرصةَ أن تقفِزَ على مَرأىً منهم
الناس
الذين بمَقدورِهم
لو شاؤوا
في المطعمِ أو في البيت
دَسَّ السُمِّ في حَسائكَ
الناس
الذين يعيشونَ لتعيش
تَصوَّرْ لو ماتَ كُلُّ الناس
ماذا يبقى مِنكَ !
الناس
الذينَ يموتونَ لتعيش
تصوَّرْ لولا يموتُ الناس
ماذا يبقى لكَ !
الناس
الذينَ بكُلِّ سُهولةٍ
يستطيعونَ خُسرانَكَ
والحياةَ بدونِكَ
لكنهُم لأسبابٍ شَتّى

أغلبُها تافِهة
يُفضِّلونَ الإبقاءَ عليكَ
والحياةَ معكَ .

/

الناس
لا تتكَلَّمْ هكذا تُرَّهاتٍ عنِ الناس
لا ترُدِّدْ كالبَبَّغاء
ما يقولُهُ الناسُ عنِ الناس
مَن أنتَ لولا الناس
مَن تُلقي عليهِ التحيَّةَ : (صَباحُ الخير)
فيُجيبُكَ : (صَباحُ الخير)
ويَضيفُ : (كيفَ حالُكَ؟)
ولكَ أن تُجيبَ
أو لا تُجيب
مَن تحرُصُ أن تكونَ السَبّاقَ
في استقبالِهِ
ثم تأتي بمائةِ عُذرٍ لتُفوِّتَ وَداعَهُ
مَن تجلِسُ وحيداً في جُحرِكَ
فيرُنُّ جَرسَ هاتِفِكَ
أو يقرَعُ بابَكَ
مَن تكتُبُ لهُ الرسائلَ
ثم تُمزِّقُها
ثم تركُضُ لعندِهِ

وتقِفُ أمامَهُ لاهِثاً
مَن تكرهُهُ كلَّ هذا الكُره
وفي نفسِ الوقت
تُحِبُّهُ كلَّ هذا الحبّ
مَن تُعادي وتُعِدُّ لهُ المَكائدَ
مَن تنتَصِرُ عليهِ فتحزنُ
فتدعُهُ ينتصِرُ عليكَ ليفرَح
من تكفُرُ بهِ
ثم تُصلّي لهُ وتطلُبُ غُفرانَه
عمَّن تصفَحُ وممَّن تنتقِم
بدونِ الناس
مَن تنتظِرهُ وتنتظِرهُ وتنتظِرهُ
فلا يأتي
ثمَّ يأتي وعندَكَ في البيتِ
شخصٌ آخر
مَن تتفقَّدُهُ
وكأنَّهُ طَرفٌ من أطرافِكَ
أو جُزءٌ من جسَدِكَ
فلا تطمئنَّ إلاّ عندما تلمُسُه
مَن تنتقي لهُ أجملَ حَصى الشاطئ
وهو لا يُبالي
مَن تطلُبُ منهُ كُوباً منَ الماء
فيُحضِرُ لكَ كوباً منَ الحليب

مَن يُغنّي أمامَكَ فترتبِكُ
مَن يُبكيكَ غيابُهُ
وبعدَ هذا يُبكيكَ حُضورُه
مَن تُحضِرُ لهُ باقةَ زُهورٍ
ثمَّ ترمي بها في وَجهِه
لكنَّكَ تعودُ وتركعُ
مُقبِّلاً يدَيهِ وركبتيه
مَن توسِّدُ رأسَكَ على ساعِدِه
وأنتَ تُفَكِّرُ بسواه
مَن تراهُ وأنتَ مُغمِضٌ عينَيكَ
ثم لا تراهُ
عندما تفتحُهُما .

/

أخبرَني الحَلاّجُ أنَّهُ عندما مات
أدخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّة
فوجدَها خاليةً منَ الناس
: (ماذا أفعلُ هُنا وَحدي)
قالَ في سِرِّه
وقفَزَ عن سورِها
وهرَبَ إلى جَهنَّم
لأنَّها مليئةٌ
بالناس ..

—

القلبُ الأعمى

1- أيُّها التارِكُ يَدي

أيُّها الرابِضُ خَلفَ السُحُب

أيُّها الذائبُ

في المَطَر .

/

أيُّها المُتَخفّي في الحِجارة

أيُّها المَنثورُ في التُراب

أيُّها المُختَبِئ

في ثَنايا الهواء .

/

يا مَن لا يُعطي إشارة

لا يُلوِّحُ بيد

ولا يغمُزُ بعَين

يا مَن

لا يترُكُ أثَراً

ولا يرمي ظِلاً .

/

يا مَن أنظُرُ فيتوارى

يا مَن أفتَحُ أُذُنَيَّ وأُصغي

فيُبطِلُ هَمهمتَه

يا مَن أصيحُ بكافَّةِ أسمائهِ

فلا يُجيب

يا مَن أقِفُ عندَ مَفرقِهِ

حائراً

فيمحو طريقَه .

/

أيُّها التارِكُ يَدي

أيُّها الضائعُ عن عَيني

أيُّها الهارِبُ من

وَجهي .

—

2- كما تشترِطُ أن تراني

ها أنَذا على رُكبَتَيّ
وأنتَ تعلَمُ أني
ما زِلتُ أستَطيعُ أن أقِفَ
وأمشي
ها أنَذا على رُكبتَيّ
وأنتَ تَعلَمُ أنّي
ما زِلتُ أستَطيعُ أن أستَديرَ
وأخرُجَ
ها أنَذا على رُكبتَيّ
كما يفعَلُ الخُطاةُ التائبون
كما الخَدَم
وكما أحسَبُ أنَّكَ تَقبَلُني أمامَكَ
كما أحسَبُ أنَّكَ ترضى بي
في حَضرتِكَ .
/
ها أنذا على رُكبتَيّ
أُصلّي
صامِتاً كأبكَمٍ أُصلّي
بشَفتَيِّ الروحِ
بصوتِ القَلب

أُصلّي

كما أحسَبُ أنَّكَ

بينَ ألسنةِ الحديدِ والنارِ

تفهَمُني .

/

واسعاً واسعاً في الفراغِ

فتَحتُ عينَيّ

ذَرّاتُ الغُبارِ السابحةُ في الضوء

مسحتُ بعينَيّ

وها أنذا على رُكبتَيّ

مُغمّضاً عَينَيّ

مُغمّضاً بشُدَّةٍ عينَيّ

كما أحسَبُ أنَّكَ تشترِطُ

أن تراني ..

—

3- كُنتُ ظلاماً فأضأتَني بنظرة

كانَ قَلبي مُطفأً

كُنتُ مُطفأً

كانَ قلبي مُظلِماً

كنتُ شديدَ الظُلمةِ

كانَ قلبي فَحمةً سَوداء

كنتُ رَماداً أسوَدَ
كُنتُ أنظُرُ أمامي
فلا أرى أمامي
أمُدُّ يَدي
فلا أرى يَدي
ولا أرى أينَ أمُدُّ يَدي
ولا أرى ماذا تلمُسُ يَدي
كُنتُ أُغمِضُ عينَيّ
فلا أجِدُ فَرقاً
كُنتُ أفتَحُ عينَيّ
فلا أجِدُ فَرقاً
كُنتُ لا أعرِفُ
إن كُنتُ مُغَمِّضاً عينَيّ
أم كُنتُ مُفَتِّحاً عينَيّ
كُنتُ أعمى كُنتُ أعمى
فأتيتُ إليكَ لأراكَ
كُنتُ ظَلاماً
كُنتُ ظَلاماً
فأتيتُ إليكَ لتراني
وتُضيئَني
...
بنَظرة..

—

طريقٌ إسفلتيٌّ أسودُ مرسومٌ
على خَدِّ الأرض

كلَّما رأيتِ غُراباً طائراً تذكَّريني

(إنَّهُ نورسٌ أسودُ، هذا ما كانَ يعنيهِ لي دائماً)

هذا يعني أنَّكِ في نُزهة
أحدَ أيامِ الصيف
في البرّيةِ
خارجَ حدودِ المدينة
وقد انتقيتِ شجرةً كثيفةَ الأوراق
وفرشتِ تحتَها بِساطاً
أو اكتفيتِ - كعادَتِكِ -
بالعُشبِ القصيرِ الناميَ حولَ جذعِها
مُستلقيةً على ظهرِكِ
حريصةً أن تَضعي رأسَكِ

حيثُ لا تستطيعُ الشمسُ
أن تصِلَ إلى وجهِكِ
وما أن تُسدلي جَفنَيكِ
حتّى تَهُبُّ ريحٌ خفيفةٌ
تهزُّ فُروعَ الشجرةِ
أو تُبدِّلُ الشمسُ زاويتَها
درجةً واحدةً – لتراكِ –
فتعودُ وتُسلِّطُ عليكِ أشِعَّتَها الحارقةَ
حينَها ربَّما تضطرّينَ
أن تفتحي زهرتَي عينَيكِ
إلى صوتٍ يُناديكِ
أو حركةٍ غيرِ مُرتقبةٍ حدثَت بقُربِكِ
أو صَمتٍ طويلٍ بلا مبرِّر
في تلكَ اللحظةِ تلمحينهُ
بُقعةً داكنةً ذاتَ جَناحين
تسبحُ في مُحيطٍ من الوهجِ
وسيكونُ حظّاً طيِّباً
إذا ما مرَّ بظِلِّهِ
فوقَ عينَيكِ .
/
أو أنَّهُ يعني فقط
أنَّكِ تقفينَ على النافذةِ
وقد ضِقتِ ذَرعاً

بالطاولةِ والسريرِ والكُرسي
وكلٍّ ما يلتصِقُ بالأرض
مثلَكِ
وأنَّ شيئاً يدفعُكِ
أن تُطلِقي نظَرَكِ
أن تملأي صدرَكِ
بما هو أشدُّ بُعداً
بما هوَ أشدُّ رحابةً
عندَ ذاكَ – صِدفةً –
ترَينَهُ
عابراً سقفَ المدينةِ الحجري
دونَ أن يخفِقَ بجَناحيهِ
أكثرَ من خفقةٍ واحدةٍ
مُخترِقاً ضجيجَها
دونَ أن يُطلِقَ صيحةً
ويا لها من فُرصةٍ ثمينةٍ
أن يحُطَّ بُرهةً
فوقَ أحدِ السُطوحِ
على طرفِ هَوائيٍّ
أو رأسِ مِدخنة
على مَرأىً منكِ
ثم يهُبُّ فجأةً
ليُتابعَ طريقَهُ

فتشعُرينَ بأنَّهُ هوَ تماماً
ما كُنتِ
بأشدِّ الحاجةِ أن
ترَيهِ .
/
إنَّهُ ليسَ مُجرَّدَ غُرابٍ
أقولُ لكِ
إنّهُ غُرابٌ طائرٌ
بخفَقاتٍ معدودةٍ من جَناحيهِ الكبيرينِ
يستطيعُ أن يصِلَ إلى
حافَّةِ الأُفُق
ثم بخَفقةٍ أخيرةٍ
يغيبُ عنِ النَظر
وهو إن رأيتِهِ أو سمعتِهِ
واقِفاً على ذؤابةِ
سَروةٍ في حديقةٍ عامةٍ
أو مقبرة
يشدو على طريقتِهِ
فذاكَ لسببٍ
ليسَ لنا أن نُدرِكَهُ
أو لغايةٍ ليسَ لنا
أن نحكُمَ لها أو عليها
فقد خبَرَ بمرورِ كلِّ تلكَ الحِقَب

كيفَ يبقى عصيّاً
على مُتناولِ البشر
مُتقناً حتّى النِهايةِ دورَهُ
ألاّ يجعَلَ لشيءٍ فيه
منفعةً لهم
فلا يُشنِّفُ بصوتِهِ آذانَهم
ولا يوسِّدُ بريشِهِ رؤوسَهم
ولا حتى يُسِرُّ بمَرآهِ ناظِرَهم
عَداكِ عن بيضِهِ الزَنِخِ
ولحمِهِ الذي لا يُليِّنُهُ
سَلقٌ أو شِواء
مُحيطاً رأسَهُ بهالةٍ من الغُموض
مُشيِّعاً عن نفسِهِ
أقاصيصَ كثيرةً من العداءِ
والكُره .
/
إنَّهُ ليسَ فقط غُرابٌ
سمِعتُ عنهُ أخباراً مُتناقضةً
مرَّةً عن غبائهِ
ومرَّةً عن مَكرِهِ وحِكمتِهِ
أو قرأتِ عنهُ في قِصةٍ صينيةٍ
من كِتابِ قِصصِ الثرثارين
عن رامي نِبالٍ عظيم

كان يصطادُ غُراباً كلَّ يوم
ليُعِدَّ من نقيعِ لحمِهِ وعِظامِهِ
حِساءً لزوجتِهِ المُتبرِّمة
أو شاهدتِهِ في صورٍ مُتسلسِلةٍ
وهوَ يتَّخِذُ
كافَّةَ أوضاعِهِ المُريبةِ
بجانبِ جُمجُمة .
/
إنَّهُ غُرابٌ طائرٌ ... أقول
يستطيعُ بخفقتينِ أو ثلاثٍ
من جَناحيهِ الكبيرين
وهما يعكِسانِ بريقاً أسودَ
أن يذهبَ بعيداً بعيداً
إلى حيثُ
ليسَ لنا أن نكونَ
ليسَ لنا أن نصلَ
ليسَ لنا
أن نعلمَ .
/
كُلَّما رأيتِ
غُراباً طائراً
تذكَّريني ..

جَميلةٌ لدرجةٍ تدفعُ النِساءَ إلى الارتِماءِ على أوَّلِ رجُلٍ يُقابِلنَه

لا رَيبَ أنَّها ساحِرة
هل تمتمَت أمامَهنَّ بكلِماتٍ
لم يفهَمنها ؟
هل صالبَت بساعِدَيها
فوقَ صَدرِها ؟
ثم أفردَت على مَهلٍ
أصابعَ قبضَتَيها
الأُصبُعَ تلوَ الأُصبُعِ
والقبضَةَ تلوَ الأخرى ؟
هل أغمَضَت عَينَيها مرَّتَين

وفي المرَّةِ الثالِثةِ فتَحَت
عَينَها اليُسرى أوَّلاً
ثم اليُمنى ؟
لا ريبَ أنَّها سَحرَتهُن
النِساءُ لا يفَعلنَ أمراً كهذا
إلاّ مَسحورات .
/
بل مَجنونات
بعد رُؤيتِها يُصبِحنَ مَجنونات
شيءٌ فيها يجعلُ لها سُلطاناً
شيءٌ فيها يُصيبُهنَّ بالجنون
أعرِفُ امرأةً مجنونةً
كانت تفعلُ ذلكَ في الشارِع .
/
إنَّها تجعَلُهُنَّ يائسات
بعدَ أن يرينَها يحُلُّ بهنَّ يأسٌ
يأسٌ غامِرٌ لا يدرينَ كُنهَه
يأسٌ ثقيلٌ لا يستطِعنَ حَملَه
كما لا يستطِعنَ نفضَهُ عن ظُهورِهن
لا شيءَ سوى يأسٍ كهذا
يدفعُ النساء
للارتِماءِ على الرِجالِ هكذا
يائساتٌ من كونِهنَّ نِساءً

يائساتٌ من كونِهنَّ نِساءً بقَدرِها
يائساتٌ من كونِهنَّ نِساءً
كما قبلَ أن يرَينَها
لأنَّهُ بعد رؤيتِها
لا تُصدِّقُ الواحِدةُ منهنَّ
أنَّ في استطاعتِها الحُصولَ على
رَجُل
أيِّ رجُل
لا تُصدَّقُ أنَّ لكلِّ امرأةٍ رجُلاً
عليها أن تنتظِرَه
وأن تَتوقَّعَ قدومَه
أو أن تَبحثَ عنه
لأنَّهُ هو نفسُهُ يبحثُ عنها
أو ينتظِرُها
فتَندفِعُ إلى أوَّلِ رجُلٍ تُصادِفُه
وتُلقي عليهِ نفسَها
لا يُهِمُّها أينَ
لا يُهِمُّها كيفَ
ولا يُهِمُّها مَن
تشُدُّ بهِ من كُمِّ قَميصِهِ
وتجُرُّهُ إلى أقربِ حائطٍ
لا يراهُما
خلفَ ظهرِهِ

أحد .

/

هل كشفَت أمامَهنَّ عن صَدرها
هل طلبَت من إحداهنَّ
أن تضَعَ يَداً على ثَديها
ثم تُدخِلَ سَبّابتها في سُرَّتِها
لا رَيب أنَّها تُخيفَهُنَّ بمِثلِ هذهِ الحركات
لا ريبَ أنَّهنَّ بعدَ أن ينصَعنَ لها
يصِرنَ خائفات
خائفاتٍ من أن يراها الرِجالُ كُلَّهم
فيضيعُ حَقُّ كُلِّ واحِدةً منهنَّ
برَجُلٍ
ولا يبقى لأيِّ واحِدةٍ منهنَّ
رَجُلٌ
أيُّ رَجُل
فيهبِطنَ الدرَجَ هلِعاتٍ
ويهرَعنَ إلى الشارِعِ
لترتَمي كُلُّ واحِدةٍ منهنَّ
على أوَّلِ رَجُلٍ تُقابِلُهُ
خَشيةَ أن يكونَ هذا الرَجُلُ
صاعِداً إليها
أو صِدفةً يلمَحُ خَيالَها
على سَتائرِ النافذةِ

فيعلَمُ بوُجودِها
فلا يعودُ يُرضيهِ سِواها
وإن حدَثَ وقنَعَ بدونِها
وإن حدَثَ ورَضيَ بامرأةٍ سِواها
فذلكَ لأنَّهُ ليسَ بمَقدورِها
أن تكونَ لكُلِّ رَجُل
وليسَ بمَقدورِها
حتّى وإن رغَبَت
أن تُعطي نَفسَها لكُلِّ رَجُل
لأنَّهُ لا وَقتَ لَديها لكُلِّ رَجُل
ولا مَكانَ لَديها لكُلِّ رَجُل
ولا ثَديَينِ لَديها
ولا ساقَينِ لَديها
ولا فُرجَ لَديها
لكلِّ رَجل
فإنَّ شَيئاً غَريباً يعتَريهِ
كُلَّما ضمَّتهُ امرأة
كلَّما شَدَّت عليهِ امرأة
تَجِدُهُ مُتحجِّراً ومِطواعاً معاً
يفعَلُ ما تُريدُ دونَ أن يُحرِّكَ
ساكِناً
إنَّهُ يُغمِضُ عينَيهِ ليراها
ولأنَّهُ لا يعرِفُ اسمَها

يُخرِجُ الآهَةَ
أو يُخرِجُ الآهاتِ
الآهةَ تِلوَ الآهةِ
لأنهُ يخالُ
(آه) هوَ اسمُها .
/
ورُبَّما خِلافاً لذلكَ كُلِّه
هي لا تفعَلُ سِوى أنَّها
تُذكِّرُهُنَّ بشيءٍ قد نَسينَهُ
وهُنَّ يحسَبنَ أنفُسَهُنَّ
مَشغولاتٍ بِهِ فقَط
تُعيدُهُنَّ إلى ما خُلِقنَ أصلاً
لأجلِهِ
وهنَّ لا يعرِفنَهُ
ويحسَبنَ أنفُسَهنَّ يرتَعنَ في
أحضانِهِ
إنَّها تفتَحُ شهوةً في قُلوبِهِن
توقِدُ فُرناً في بُطونِهن
تشعِلُ ناراً في أيديهنَّ وأرجُلِهن
فيُغادِرنَها مُسرِعات
لترتَمي كُلُّ واحِدةٍ منهنَّ
على أوَّلِ رَجُلٍ يُقابِلنَهُ
عند البابِ

أو على الدَّرَجِ
أو في وسَطِ الشارِع
ليأخُذنَ مِنهُ هذا الذي لهُنَّ
ليستَعِدنَ هذا الذي فقدنَهُ
والذي رأينَ مِثلَهُ عندَها
ولا يدرينَ ما هو
ليطفِئنَ الحريقَ الذي أضرَمتهُ
في أحشائِهن
أو رُبَّما يهرَعنَ هَلِعاتٍ
حاسِراتِ الرأسِ
فاتِحاتِ الصُدور
خَوفَ أن تنطَفِئَ تِلكَ النار
قبلَ أن يقَعنَ على أيِّ رَجُلٍ
ليُطفِئنها بِهِ
لا بَل ليُخرِجنَ لَهيبَها
من بينِ أفخاذِهنَّ
ويزِدنَها اشتِعالاً .
/
جميلةٌ لدرَجةٍ تدفَعُ النِساء
للارتِماء
على أولِ رَجُلٍ
يُقابِلنَهُ ..

تخيَّلْ
طريقاً إسفَلتيّاً أسوَدَ
مُستَقيماً
وحادَّ الطَرَفين
ينغرِزُ رأسُهُ كحَربةٍ في الأُفُق

وشجرةً
ليسَت سامِقةً وليسَت شُجَيرة
شجرةً أقرَبَ ما تكونَ
إلى يافِعةٍ
تقِفُ بجَذعِها الناحِل
في وسَطَهِ تماماً
هذهِ الشجرة
هي ...
/
الشِعرُ إذَن
شَجَرةٌ تَقِفُ في وسَطِ الطَّريق
طَريقِ البَشَر
لأنَّهُ طَريقٌ إسفَلتيٌّ أسوَدُ
مَرسومٌ بالمِسطَرةِ
على خَدِّ الأرض
طَريقٌ شَقَّهُ ودحاهُ وعَبَّدَهُ
البَشَر
إلى أين ؟
إلى حَيثُ ترى الشجَرة
أنَّهُ عَليها
بِجذعِها الناحِل
أن تعتَرِضَهُم .
/

لكنَّ الطريقَ يمضي
حادّاً ومُسنَّناً
إلى ما بعدَها
إنَّهُ يَبدأُ واسِعاً في أولِه
ويضيقُ شَيئاً فَشَيئاً
كُلَّما مَضى قُدُماً إلى الأُفُق
حتّى ينتَهي بنقطة
البَشَرُ الماضونَ على هذا الطَّريق
البَشَرُ الذاهِبونَ إلى هذِهِ النِقطة
الذينَ أبقوا على الشجرة
قائمةً في وسَطَهِ
البشَرُ الذينَ حادوا بطريقِهِم
عنها يَميناً
البشَرُ الذينَ حادوا بطريقِهِم
عنها يَساراً
لم يكُن في بالِهِم يوماً
أنَّهُم عندما يصِلونَ إليها
عَليهِم أن يتوقَّفوا .
/
بِأغصانِها الوارِفةِ القَصيرة
بِأوراقِها الزَّرقاءِ المُتَفَرِّقة
تَدعوهُم
وبعضُهُم أحياناً يقبَلُ الدَّعوةَ

للتمهُّلِ بقُربِها قليلاً
للتريُّثِ ولو للحَظات
يتفقَّدونَ خِلالَها أفرادَ قُطعانِهم
ويُبدِّلونَ
إذا لزِمَ الأمرُ
عجَلاتِ عرباتِهم
أو حَدَواتِ أحصنتِهم
ينتظِرونَ ريثما يصِلُ
أو يقترِبُ
أو فقط يرونَ خَيالَهُ
وهم يُظَلِّلونَ أعيُنَهم بأكُفِّهم
مَن يتوجَّبُ عليهِ اللَحاقُ بهم
فتنتهِزُ الشجَرةُ الفُرصةَ
كي تُقدَّمَ لهم
كلَّ ما عندَها ...
فَيئَها
الذي لا يُغطّي رأساً
جِذعَها
الذي لا يسنِدُ ظَهراً
ثَمرَها
الذي
لا يُغني عن جوعٍ ..

—

الفهرس

القَلبُ الأعمى

1- أيُّها التارِكُ يَدي

2- كما تشترِطُ أن تراني

3- كنتُ ظلاماً فأضاءَني بنَظرة

-

طريقٌ إسفلتيٌ أسودُ مرسومٌ

بالمسطرةِ على خَدِّ الأرض

- كلما رأيتِ غُراباً طائراً تَذَكَّريني

- جَميلةٌ لدَرَجةٍ تدفَعُ النِساءَ إلى الارتِماءِ على أولِ رَجُلٍ يُقابِلنَه

- الشِعر ... شَجَرةٌ تعتَرِضُ طَريقَ البشر

—